المهرجان اللبناني للكتاب – انطلياس 2024 – السنة 41
7 آذار 2024 الساعة 6 مساءا
كلمة السيّدة لمياء المبيّض بساط

أَنْ تُكَرّمَكَ الْحَرَكَةُ الثَّقَافِيَّةُ-انطلياس لَهوَ وِسَامُ شَرَفٍ أَسمَى مِن كُلّ الأَوسِمَةِ الرَّسمِيّةِ الَّتِي يَتَأَبَّطُهَا انسَانٌ- أَوسِمَةٌ أَصبَحَتْ مَعَ النَّكبَةِ الإنسَانِيّةِ الَّتِي تُصِيبُ العَالَمَ بِفِعلِ الحَربِ عَلَى غَزّة، وتُصيبَنا في انسانيّتنا، أَوسِمَةً أَقَلُّ مَا يُقَالُ فِيهَا أَنّهَا هَزِيلَةٌ.

وِسَامُ الحَرَكَةِ الثَّقَافِيّةِ سَامٍ لِأَنَّهُ أَصِيلٌ. أَصلُهُ الصَّرحُ التَّارِيخِيُّ، دِيرُ مَار اليَاس - انطلياس، حَيثُ تَلَاقَى مُنذُ أَكْثَرَ مِن قَرنٍ وَنِصفِ القَرنِ، أَسلَافٌ لَنَا أَقسَمُوا بِأَن يَكُونوا يَدًاً وَاحِدَةً لِهَذَا الوَطَنِ، فَكَانَ أَنْ تَرَكُوا لَنَا عَامِّيّةً 1840 شَهَادَةً وَمِيثَاقًاً.

الأَصلُ إِذًا، وَدَومًا، هُوَ السَّاحَةُ السِّيَاسِيّةُ، وَالفَصلُ، هُوَ السَّاحةُ الثَّقَافِيَّةُ الذَّاخِرَةُ بِالْعَطَاءِ - عيدُ للكلمة والفكر والإبداع كما يحلو لحَضرة الأمين العام الأستاذ جورج أبي صالح، وَصفَها.

التَّكْرِيمُ مِن قَبلِكُم سَيّدَاتِي وَسَادَتِي، هُوَ وِسَامُ الِالتِزَامِ وَالمُثَابَرَةِ اللَّذَانِ صَنَعَا 41 سَنَةً مِن نَجَاحِ المَهرَجَانِ اللُّبنَانِيّ لِلكِتَابِ وَ 45 سَنَةً مِنْ مُؤْتَمَرَاتِ الحَرَكَةِ الثَّقَافِيّةِ .

لِفَتَتُكُم الأَصِيلَةِ، وَتَقدِيمُكُم الكَرِيمُ، دكتورة تَمارا الزين، يَبعَثَانِ الدِّفءَ فِي قَلبِي، وَيَدعُوَانِنِي إِلَى التَّوَاضُعِ أَمَامَ هَذَا التَّقدِيرِ الرَّفِيعِ. أنتِ مثال لنا جميعا وقُدوة في العَمل العِلميّ الرفيع لبناء دولة تُحكم بالعِلم والمعرفة والأخلاق.

كُلّ الِامتِنَانِ لِلهَيئَةِ الإِدَارِيّةِ، للدكتور-المِثَالُ عصام خليفةَ، لحَضرَةِ الأَمِينِ العَامّ الصديق العَزِيزِ الِاستَاذِ جُورج أَبي صالح، وَلِأَمِينَةِ النَّشرِ وَالتَّوَاصُلِ، أَمِينَةُ المَالِ سَابِقًا ، السَّيّدَةُ المُتَمَيّزَةُ بريجيت كساب، ولشهاداتِكُم رفاق الطريق الصعب:

الأستاذ غسان الزعني، الذي يحمِل على أكتافِه وبرموش عينيّه معهد باسل فليحان المالي، وكان خشبة الخلاص له في السنين الصعبة الأخيرة حين أضطُررتُ للسفر –

الأستاذ نبيل اسماعيل، حارس الذاكرة بالصورة، من وثّق بعدسته وبروحه التاريخ السياسي والاجتماعي والثقافي للبلاد، هو الذي عرّفني على سلطة الكاميرا، شاعر الصورة –

السيّدة الرائعة أسمهان الزين التي يدين لها الوطن بالكثير، هي الناشطة في ميادين الاقتصاد والعمل العام التضامني والتنموي، وفي تعزيز مكانة المرأة ومشاركتها في صنع القرار،-

وأخيرا الأستاذ الصديق جورج أبي صالح، المثقّف المُرهف والعقل النيّر الشاهد على التاريخ الاقتصادي والمالي للبلاد، إن حكى، لأهتزت عروش. **********

التَكرِيمِ الحَقِيقِيّ هَذَا المَسَاءَ، سَيّدَاتِي وَسَادَتِي – لِكَي لَا نُضَيّعَ البُوصلَةَ – هُوَ لِلعَمَلِ الرَّائِعِ الَّذِي يَقُومُ بِهِ مَعهد باسل فليحَان المالي وَالاقتِصَادِي مُنذُ أَكْثَرَ مِن سَبعَةٍ وَعِشرِينَ عَامًا. التَّكرِيمُ لِرِسَالَتِهِ الَّتِي تَتَمَاهَى مَعَ آمَالِنَا بِبِنَاءِ دَولَةٍ قَادِرَةٍ، وَمع طُمُوحُهُ في أَن يُصبِحَ مِن كِبَارِ المَعَاهِدِ الحُكومِيّةِ المُتَخَصّصَةِ فِي موَاضِيعِ "إِدَارَةِ المَالِ العَام وَبِنَاءِ الدَّولَةِ"، فِي لبنان وَالمِنطَقَةِ العَرَبِيّةِ.

التَّكرِيمُ فِي أَصلِهِ، مُهدى إِلَى كُلّ مَن آمَنَ بِالعِلمِ سَبِيلًا لِارتِقَاءِ العَمَلِ العَام. زَمِيلَاتٍ وَزُمَلَاءَ، مِنهُم مَن صَمَدَ وَمِنهُم مَن هُجّرَ، مِن أَصْحَابِ المَهَارةِ وَالأَمَانَةِ وَبُعد النَظَرِ – الأَكّفَاءُ، الصُّلَحَاءُ، الشُّرَفَاءُ، ذَوُو القُدرَةِ عَلَى دِقَّةِ التَّصَرّفِ فِي إِدَارَةِ شُؤُونِ النَّاسِ وَالمَالِ الْعَام، مَن لي شَرَف العَمل معهم.

والتَّكْرِيمُ مُهدى لِرِفَاقِي فِي المَعهَدِ المالي، المَوجُودونَ بينَنَا اليَومَ وَالغَائِبُونَ. مَعًا نُشَكّلُ مُنذُ عِشْرِينَ عَامًا وَنَيّفٍ، فَرِيقًا يَرتَكِزُ جَوهَرَ عَمَلِهِ عَلَى القَنَاعَاتِ وَالقِيَمِ المُشْتَرَكَةِ. أَقُولُهَا بِفَخرٍ وَإِعجَابٍ كَبِيرينِ: لَولَاكُم، لَولَا قُوّتُكُم وَشَغَفُكُم، وَحُبّكُم لَهذا الوَطَن، مَا كُنتُ لَأَقِفُ حَيثُ أَنَا الْيَوم.

وَلِأَنَّ الحَيَاةَ فِعلُ وَفَاءٍ لَا بُدَّ مِنْ كَلِمَةِ تَقدِيرٍ لِمَن وَثِقَ بِي وَأُولَائِي مَسؤُولِيّةَ المَعهَدِ بِرغمِ حَدَاثَةِ سِنّي يَومَذَاكَ (كَانَ ذَلِكَ مُنذُ سَنَوَاتٍ طَوِيلَةٍ). مَعَالِي الوَزِيرِ الصّدِيق الدكتور جورج قرم، الَّذِي لَم تَسمَح لَهُ ظُرُوفُهُ الصِّحّيةُ فُرصَةَ مُشَارَكَتِنَا هَذَا الْحَفلَ. وَطَبعًا لِدَولَةِ الرَّئِيسِ فؤاد السنيورة، الأَبِ المُؤَسّسِ لِلمَعهَدِ، الَّذِي أَودَعَنِي ثِقَتَهُ وَقَدّمَ لِي وَلِلأُسرَةِ المَعهَدِ دَعمًا أَكِيدًا. لَكُمَا مِنَّا كُلّ التَّقْدِيرِ.

****

أَعْتَرِفُ سَيّدَاتِي وَسَادَتِي بِأَنَّنِي لَم أَتَخَيّلنِي يَومًا مُوَظّفَةً فِي الإِدَارَةِ العَامّةِ اللُّبنَانِيّةِ، أُدِيرُ مِرفَقًا عَامًّا، بَعدَمَا كُنْتُ مُوَظّفَةً أُمَمِيّةً. لَكِنَّنِي لَم أَنْدَم عَلَى خِيَارِي هَذَا أَبَدًا! (حَتَّى فِي هَذَا الزَّمَنِ السَّيّءِ جِدّا).

أَعتَرِفُ بِأَنّ الدَّربَ لَم يَكُن أَبَدَاً سَهلاً.

أَن نُدِيرَ مُؤَسّسَةً بِغَيرِ مِيزَانِيّةٍ فِي ظُرُوفٍ مُتَغَيّرَةٍ، أَن نَرَى الإِصلَاحَاتِ تَخطُو خُطُوَاتٍ عِملَاقَةً فِي دُوَلٍ قَرِيبَةٍ وَبَعِيدَةٍ، فِيمَا نَحنُ القَادِرُونَ، العَارِفُونَ، مَمنُوعُونَ مِن الِانجَازِ.

أَلَا نَفقِدُ الأَمَلَ وَنَحنُ نُودّعُ أَفضَلَ كَفَاءَاتِ إِدَارَاتِنَا وَأَوسَعِهِم مَوهِبَةً مِمّن استثمرنا في بناء قُدُراتِهم ويُلفِظُهُم النِّظَامُ، أَن يُلفِظَنَا النِّظَامُ نَفسَهُ الَّذِي يَستَأْخِرُ الإِصلَاحَاتِ وَيَستَسهِلُ التَّجَاسُرِ عَلَى المُؤَسَّسَاتِ وَيَستَهُونَ تَّهجِيرِ الْكَفَاءَاتِ. |

أَعْتَرِفُ، سَيّدَاتِي وَسَادَتِي، بِأَنّ الْهَزِيمَةُ كَانَت مَرَّاتٍ عِدّة، عَلَى قَابِ قَوسَينِ مني، مِنَّا جميعاً،،

كَمْ مَرّةً سَأَلْنَا أَنفُسَنَا: هَل مِن مَنطِقٍ لِاستِمرَارِنَا؟ هَل يُرِيدُ اللُّبنَانِيُّونَ فِعلًا دَولَةً وَمُؤَسَّسَاتٍ؟ دَولَةٌ بِمَعنَى البِنَاءِ الْعَصرِيّ لِمُؤَسَّسَاتٍ مُحَايِدَةٍ مُتَجَاوِرَةٍ مَعَ هُمُومِ النّاسِ، كُلّ النّاسِ ، وَخُصُوصًا الأَكْثَرَ هَشَاشَةً .

دَولَةٌ لَا يَعلُو فِيهَا مَنطِقُ التَّحَاصُصِ عَلَى مَنطِقِ الْجَدَارَةِ ، يُدَارُ فِيهَا المَالُ العَامُّ بِمَعَايِيرِ الشَّفَافِيَّةِ وَالحِرصِ وَالأَمَانَةِ. دَولَةٌ تُنَادِي بِإِعدَادِ القَادَةِ لِتَوَلّي المَهَامّ، وَتُقَدّمُ الصَالِحِ، وَتُجَازِي الفَاسِدِ، وَتَرتَقِي بِالعَقْدِ الِاجتِمَاعِيّ لِيُصبِحَ عَقدَ ثِقَةٍ مُتَبَادَلَةٍ مَعَ مُوَاطِنِيهَا.....هَل يُرِيدُ اللُّبنَانِيُّونَ دَولَةً بِهَذَا المَعنَى؟ أَم دَولَةُ طَوائِفَ ومصالح يَصنَعُهونَها بِالتَّوَافُقِ ؟ من دون قادة ولا صُنّاعَ قَرارٍ.

أَعْتَرِفُ، سَيّدَاتِي سَادَتِي، بِأَنَّنِي، وَلَو كُنتُ عَلَى قَابِ قَوسَينِ مِن الهَزِيمَةِ، إِلَّا أَنَّنِي لَم أَستَسلِم بَعدُ، وَلَا رِفَاقِي فِي المَعهَدِ يَنوُونَ الِاسْتِسلَامَ.

لِمَاذَا؟

رُبَّمَا لِأَنّي وَجَدتُ فِي عَمَلِي-رِسَالَتِي، الجَوَابَ عَنْ أَسْئِلَةٍ لَطَالَمَا أَقلَقتني وَأَنَا طِفلَةٌ شَاهِدَةٌ عَلَى الحَربِ، مُستَمِعَةً مِن وَالدَتِي "لَيلَى الحَاج" لِذَاكِرَةٍ مُغتَالَةٍ، لِقَادَةِ رَأيٍ أَتَوا مِن رَحِمِ سَاحِلِ المَتنِ الجَنُوبِيّ، -سَاحِلٌ لَم يَكُن يَومًا بَيتًا لِلبُؤسِ وَلَا ضَاحِيَةً لِلمُستَضعَفِينَ.

قَادَةُ رَأيٍ أَدرَكُوا بَاكِرًا بِأَنَّ التَّهَاوُنَ فِي بِنَاءِ مُؤَسَّسَاتِ الدَّولَةِ وَفِي إِحْقَاقِ العَدَالَةِ الِاجْتِمَاعِيَّةِ مِنْ شَأنِهِ أَن يُعَرّضَ لِلهَشَاشَةِ الِاستِقرَارَ السّيَاسِيّ لِلبِلَادِ. رِجَالَاتٌ "يُغيّبوا" عن الذاكرة اللبنانيّة أَمثَالِ عَبدِ الكَرِيم الخليل، وَمحمد الزين، وَعبد الله الحاج، وَابراهِيم وَفضل الحاج، وَمحسن سلَيم، وَأَبنُهُ لقمَان...

كَيفَ تَكُونُ دِيَارُنَا اللُّبنَانِيَّةُ عَامِرَةً؟

كَيفَ نُصبِحُ يَومًا لُبنَانِيّينَ نَحنُ أَهلُ "الطَّوَائِفِ" وَالمَصَالِحُ العَابِرَةِ لِلطَّوَائِفِ؟

كَيفَ نَخِيطُ مِن جَدِيدٍ حُلُمًاً كَادَ أَن يَكُون، فِي لَحظَةٍ كَادَ يَنشَأُ فِيهَا مُؤَسَّسَاتٌ، لِدَولَةٍ كَادَت أَن تَكُون، وَلِجَمِيعِ أَبنَائِهَا؟

أَسئِلَةٌ تَرُدّنَا إِلَى حُلُمٍ نُقِرُّ اليَومَ بِأَنَّهُ مَشرُوعٌ صَعبٌ ،فِي دَولَةِ الطَّوَائِفِ وَالمَصَالِحِ الّتِي صَنَعْنَاهَا بِاجتِمَاعِنَا. دَولَةٌ سَمِيكَةٌ لَا يُمكِنُ النَظَرُ عَبْرَ سَوَادِهَا. مُقفَلَةٌ طَائِفِيًّاً وَمِن دُونِ ثُقُوبٍ. لَيسَ فَقَط فِي إِنتَاجِ السُلطَةِ إِنّمَا أَيضًاً فِي الثَّقَافَةِ وَالعُمرَانِ وَالِاجتِمَاعِ. دَولَةُ طَوَائِفَ وَمَصَالِحُ تُحَاصِرُكَ بِحِلدٍ مَزرُوعٍ فِيكَ رَغمًا عَنكَ. تُمَزّقُكَ فَتَضِيعُ أَشْلَاء بَيْنَ وَطَنٍ مُرتَجَى وَآخَرَ لَا يُشْبِهُهُ . وَلَا مَحكَمَةَ ذَاتَ صَلَاحِيَّةٍ بِإِمكَانِهَا الِانتِصَارُ لِجُرحِكَ العَمِيقِ.

****

يَقُولُ الإِمَامُ عَلِيّ بنُ أَبِي طَالِب (ع):" الدَّولَةُ كَمَا تُقبَلُ تُدبِرُ". فَكَيفَ تُعِيدُنَا الدَّولَةَ إِلَيهَا؟ وَكَيْفَ نَعُودُ إِلَى الدَّولَةِ، وَبِشُرُوطِهَا؟

سُؤَالَانِ يَبدُو جَوَابُهُمَا مُتَعَذّرًا اليَومَ. فَأَينَ نَجِدُ الجَوَابَ؟

لَعَلّنَا نَجِدُهُ فِي القِيَمِ السّيَاسِيّةِ وَالإِدَارِيّةِ وَالرُّوحِيّةِ الَّتِي تُعِيدُنَا إِلَى الأَصلِ، وَالأَصلُ هُنَا فِي انطِلِياس:

"المَكَانُ-الهُوِيَّةُ" – مَكَانٌ مَنطِقِيٌّ بِكُلّ تَلَاوِينِهِ الِاجتِمَاعِيَّةِ، وَالعُمرَانِيَّةِ، وَالثَّقَافِيَّةِ، وَبِعَادَاتِهِ وَتَقَالِيدِهِ،

"المَكَانُ-المَلجَأُ" – فُسحَةُ اطمِئنَانٍ بَعِيدَةٌ عَن اشتِكَالِيّةِ السَّردِ الْمَمنُوعِ، وَفِعلِ الإلغَاءِ، وَالحُكمِ المُتَوَقَّعِ بِهَدرِ الدَّمِ.

مَكَان نَقَارِبُهُ بِحَوَاسِّنَا الْكَامِلَةِ، كَمَشهَدٍ مُتكَامِلٍ فِي هَنَاءَةِ العَيْشِ، فِي تَنَوُّعَاتٍ ايمَانِيَّةٍ وَاجتِمَاعِيَّةٍ وَجَمَالِيّةٍ.

" مَكَانٌ بِحَجمِ وَطَنٍ " يَروِي العَقلَ وَيَسقِي الرُّوحَ" وَالتّعبيرُ هُنَا للأَبَاتِي الدكتور أَنطوان راجح.

مَكَانٌ لَم وَلَن تَفقِدَهُ الحُرُوبُ وَالتَّحَوُّلَاتُ صُوَرَهُ وَمِثَالَاتِهِ وَرِجَالَاتِهِ وَنِسَائِهُ.

مَكَانٌ لَا يُمكِنُ مَحوُهُ عَنْ طَرِيقِ الضَّغطِ عَلَى الزِّنَادِ. كَمَا تَقُولُ الْأَدِيبَةُ الصديقة دُومِينِيك إِدّهِ.

"المَكَانُ- المُوَاجَهَةُ"، مُوَاجَهَةٌ بِالمَعنَى السِّلمِيِّ طَبعًا، تُعِيدُ إِلَى المَتنِ" قِيَمًا لَا يَصِحّ أَن تَبقَى عَلَى الهَامِشِ" هِيَ "قِيَمُ الثَّبَاتِ"، في مُواجَهَة مَشروعِ الإنهيار-الجُرميّ-المُنظّم.

مُواجَهَة بالثَقافَة، كما يقول الدكتور عصام خليفة. "مُوَاجَهَةٌ تَكُونُ بِالرّؤيَةِ وَالإصغَاءِ"، والتَّعبير هذا للأباتي الرَئيس الدكتور أنطوان راجح. بِاللّقَاءِ وَالتَّكَلّمِ، لَا بِصِيَغِ الفِكرِ وَحَسبُ، بَل مِن "قَلبِ يَرَى"، كما أوصانا اِلبَابَا بِندِكتُس، حَتَّى لَا تَغتَالُنَا الضَّوضَاءُ.....

وَحَتَّى لَا نُبعَدَ عَن مَا نَحنُ عَلَيهِ فِعلًا،

فَنَفقِدُ المَعنَى وَيَكُونُ الحُكمُ عَلَينَا عِندَهَا أَن نُصبِحَ فِي "غَيرِ بُيُوتِنَا".

****

كلماتُ امتنانٍ صادقةٍ ممنونةٍ لمَحَبتكُم، من عميقِ القلبِ والرّوحِ .